قصـــة عراقية :

تريد أن تحب . . . ؟

للأستاذ أنور شاءول

الإستاذ أنور شاءول كاتب عراقي وشاعر غزلي رقيق يمارس المحاماة وشاءول الصحافة ويصدر مجلة (الحاصد) وهي ارقى المجلات الاسبوعية في بغداد. وهو ثاني اثنين أقاما للقصة العراقية على قواعد من الفن الصحيح وله فيها كتاب الحصاد الاول .

(الرسالة)

فرغت من قراءة المقال . وفي هذه المرة لم ترم المجلة بعنف وياس شأنها كل يوم انما وضعتها بلطف قرب وسادتها ثم مدت يدها تضغط على زر المصباح فساد الظلام.

وفي حلكة الغرفة كانت عيناها مفتوحتين يلتمع فيهما بريق غريب. لم تشعر للنوم لانها كانت تشعر بحاجة ملحة الى الانتباه والتفكير عجبا أيمكن أن يكون شقاؤها اللازم قد أشرف على النهاية فتشرق شمس الغد ضاحكة وتقبل السعادة المفقودة لترتمي بين أحضانها ؟

انه مقال «في الحياة والحب والجمال» لاشيل له فما قرأته قبل اليوم من تلك الفصول الطويلة . انه قطعة من وجد ، قطعة من قلب بل هو حياة مثل مصغرة طالما حنت اليها بعد تركتها قبل سنتين . ولكن هذا المقال لم يثر من اهتمامها قدر ما أثار منه كاتب المقال ، ذلك اللوذعي القدير المتفنن ذو القلم الساحر الذي استطاع ما لم يستطعه قبله كاتب من إماجة الجمرات الكامنة من أعماق صدرها .

فمن هو هذا الكاتب ؟

المقال مذيل بامضاء ولكن الامضاء لا يشير الى شخصية حقيقية انما هو من تلك الامضاءات المستعارة المتكررة . « سمير النجوم » . ومن هو هذا سمير النجوم ؟ وضغطت على زر المصباح فتفجرت الانوار تمسر الظلمة وكانت المجلة في يدها فجلست متكئة على وسادتها وراحت تطالع المقال ثانية . وهي في كل فقرة من فقراته تستهل النظر فتطلق لافكارها الجامحة العنان. لم تعرف (م) كم مرة أعادت تلاوة المقال في تلك الليلة . ولم يكن ليهمها أن تعرف ذلك . وعندما دقت الساعة اثنين بعد منتصف الليل تذكرت أنها أوت الى فراشها في منتصف الساعة الثامنة

* * *

و (م) من هي ؟

هي تلك الزنبقة التي ما كاد تنزها يفتر في الحديقة الغناء فتمتص الندى وتتشرب العبير وتستحم بأنوار الشمس حتى قطفت عنها الطبيعة يجاري المياه فراحت تشكو العطش وتحذر الهلاك !.

هي الزوجة الحسناء بالامس المترعة الكاس سعادة قدسية ، الارملة البائسة اليوم المثلثة الجوانح شعوراً عربيا علويا ! .

يالجمال الرائع تلامسه يد الاسى بأصابعها النارية ! يالقلب الفارغ بعد امتلاء تتسرب اليه الوحشة والحنين بين الذكريات الوامضة الجميلة !

ويا لليالي الشتاء ما أطولها وما أقسى بردها على هذه الخامة الوحيدة الوادعة !

توفي زوج (م) والمأثر على زواجهما أكثر من عام خلف شريكة حياته ولاسلوى لهاسوى طفلة في مهدها وذكريات طيبة مشوبة بمرارة الفراق الابدي . من الذي سيبادلها الحديث الحلو ؟ الابتسام ؟ القبلات والعناق ؟ ومن سيشاطرها الحياة شرورها وسلمها ؟!

أحبت وحيدتها شأن كل أم وأفرطت في الحب ولكن هذا الافراط ما كان ليخفف من مصابها بشريك حياتها . ومرت الايام والاشهر وتصرم عام وبعضه . و (م) لم تهدأ سهام الحياة .

فتتألم ذلك الالم الاخرس الذي يجيش في نفس جريح خانته قواه فما استطاع كلاما حتى ولا أنينا !.

سل الوسادة عما بللها من دمعها الغزير في ظلمات الليل ! سل النجوم عما تصعد اليها من حسرات على أجنحة الرياح ! وسل المرآة الصافية عما صوب اليها من نظرات حزينة ! ومن خلال لآلئ الدموع كانت عيناها تنظران بخيلاء كبير الى الجمال المضاع .

— انني مازلت حسناء ... جاذبيتي مازالت ثائرة ... وقلبي الفارغ... هل سيظل هكذا .. ؟ ولماذا يظل هكذا ... ؟

تحول هذه الافكارات وأشباهها في رأس (م) فلاتلبث أن ترتمي على كرسي قريب وتجهش بالبكاء . فاذا مادنت اليها طفلتها تصيح (ماما) انقلبت من البكاء للضحك ومن الاجهاش للقهقهة . وفي نفسها لم يتغير هو الالم المضني في قلبها الوديع .

***

(أريد أن أحب) .. وهي عاوية هبط على نفس (م) هبوط قطرات الطل على الزهرة العطشى ولامس كل عاطفة من عواطفها ملامسة لفحة الموقد للجسم البارد المتطلي . ولكن أين من تحب ؟ ومن هو ؟ وكيف الحصول عليه ؟ .

شاب في مقتبل العمر ، تشوق القوام ، ضحوك الوجه ؛ براق العينين ؛ جرسي الصوت : عصوب المشر ؛ مثقف ؛ ذكي ؛ ذلك من كانت تبحث أو تحاول أن تبحث عنه (م) ليملأ فراغ قلبها الفني .

ولكن أين تجده وبجنسها من القساوة بحيث يراقب منها الحركات والسكنات ويعمي عليها حتى أنفاسها . طريقها طويلة شائكة فهل تسير وهي حافية القدمين أم تتكس على الاعقاب ؟ (أريد أن أحب)

كانت وحيا هابطا ما أن له مرد .

بعد تفكير أيام بلياليها وصلت الى أن بامكانها ان تحب أحد كواكب السما ، وكواكب السما كثيرون بتمتع بجمالهم وأضوائهم في السما الناطق كل أسبوع ، فما عليها الا أن تحب أحدهم مثلان روبرت مونتكومري أوكلارك كابل أو موريس شفالييه أو جاك بوكانان أو شارلس فارل أو رامون نوفارو أو أي كوكب آخر فتقبل على اقتناء صوره ومشاهده أفلامه وقراءة أخباره وتتبع كل أثر من آثاره .

وهي فكرة جميلة تخفف من لواعجها ولكنها لاتطفيء أوار قلبها ! انها في حاجة الى حب حقيقي لا خيالي . فلتبحث عن أمنيتها في غير هذه السبيل .

— لماذا لا تطالع الروايات العصرية التي مازال أشخاصها أحياء يرزقون ؟ فلعل ما علك اعجابها بطل ما فلتبحث عنه عساها تصل الى معرفته والانتصار عليه فتفوز به وعلى رأسها إكليل (كيوبيد) والى جانبها عشيقها العزيز المغلوب !

فكرة جميلة جداً حاولت أن تخرجها الى حيز الوجود فقرأت أكثر من خمسين رواية فلم تظفر بمطمح أنظارها وأفكارها فأشاحت بوجهها حزينة ولمى !

وكومضة البرق الخاطف تحت جنح الظلام خطر لها خاطر أنست اليه ورأت فيه مخرجا لها من هذه الحالة الأليمة ، هو أن تبحث عمن (تريد أن تحب) في الجرائد والمجلات المحلية منها بوجه خاص ، ففي هذه الصحف يكتب العشرات من الكتاب والقصصيين والشعراء فما عليها الا أن تطالعها بانتظام حتى تعثر على ضالتها المنشودة .

***

مقالات ! قصائد من الشعر المنظوم أو المنثور ! كلمات مأثورة لا يحصى لها عدد ! هذا سياسي ! ذلك أديب ! الآخر عالم . الا أنهم كثيرون ! كثيرون جداً ولكنهم على رغم كثرتهم لم يثر واحد منهم كامنا في نفس م فكانت تطالع مايشرونه ثم لا تلبث أن ترمي الصحيفة جانبا ثم يتملكها شعور هو أقرب الى الفتور منه الى سواه .

حتى كانت تلك الليلة السعيدة التي وقع نظرها فيها على مقال «سمير النجوم» في الحياة والحب والجمال فتنفست الصعداء وبرقت أسارير وجهها وخفق قلبها خفقة عربدة لم تستطع « م » تأويلها الا بأنها عثرت على من تريد أن تحب .

والمجلة التي نشرت مقال «سمير النجوم» أسبوعية كانت «م» تشتريها صباح كل أحد من بائع الجرائد المجاور لدارها ، أما اليوم فقد كتبت الى إدارة المجلة ترجو أن تعدها مشتركة في ثلاث نسخ أرسلت بدل الاشتراك السنوي عنها سلفا .

وكان نهار الاحد التالي تصدر المجلة . ويا طول « م » ! فهي بعد انتظار أسبوع كامل كان أطول من عام لم تقرأ شيئا ! «سمير النجوم» وبالوحشة القلب !

«أريد أن أحب» وحي أحد يتجسم معموله في نفس «م» يوما ويوما باعثا الأمل في أعماقها . وفي الاسبوع الرابع قرأت ودموع الفرح تترقرق في أجفانها مقالا تاليا لسمير النجوم عنوانه «السعادة الزوجية والمال» فكان له أثر عميق في نفس «م» فأعادت قراءته ثانية وثالثة ورابعة حتى أوشكت أن تحفظه عن ظهر قلب .

وفي الاسبوع التالي نشر «سمير النجوم» قصيدة في ٢١ بيتا بعنوان « قلبي ... » كل بيت من أبياتها يسيل رقة وجمالا ، فكررتها «م» حتى حفظتها كلها وراحت تتغنى بها صباح مساء .

وظلت «م» تتعقب آثار «سمير النجوم» عشيقها المثلى الأعلى ومعبودها، فلتهما التهاما ولا تقرأ ، سواها . وفي أحد الأيام فكرت حقا في الامر وارتأت أن عليها أن تعمل عملا حازما في هذا الشأن فتقول لسمير النجوم وجها لوجه «اني أحبك .. أحبك أيها الكاتب القدير .. أحبك أيها الفتى الجميل ..» فكيف تصل الى ذلك ؟ وأجهدت فكرها واذا بوحي الحب يهبط فيلهمها ان أتدعو « سمير النجوم » — برسالة تبعثها اليه بواسطة المجلة — لتناول الشاي لديها في مساء الثلاثاء القادم . ما أبدعها فكرة مصيبة سهلة التنفيذ . !

***

وفي هدوء الليل جلست إلى مكتبها تحبر الدعوة إلى سمير النجوم وكان القلم يرتجف بين أناملها فتكتب وتشطب وتمزق ثم تكتب وتشطب وتمزق ثم تعود فتكتب وتشطب وتمزق ..

هذه كلمة خشنة .. هذه جملة مفككة .. هذا تعبير غير صحيح ..

وأخيرا استقرت على ان تكون الدعوة كما يلي :

«انا احدى المعجبات بكتاباتك الفياضة بالروح . أتشرف بدعوتك الى تناول الشاي في داري الواقعة .. في الساعة الخامسة زوالية من عصر الثلاثاء القادم . اعلا بك منذ الآن »

قرأتها ثانية وثالثة فاعجبها عندذلك وضمنها في غلاف معطر وكتبت عليه :

الى الكاتب المحترم سمير النجوم — بواسطة مجلة ... المراء .

وحين استلقت على فراشها أرادت ان تقرأ الرسالة للمرة الاخيرة قبل أن تلتحف فتناولتها وتلتها بصوت عال كأنها تريد أن تتحسس موسيقى تراتيبها فصدمها منها الجملة الاولى « انا احدى المعجبات » لا .. لا .. يجب أن تكون هكذا « انا معجبة الخ .. » لماذا أتحدث اليه عن اعجاب الغير ؟

ونهضت الى مكتبها تعيد تبييض الرسالة وبعد هنيهة كانت تصورها الاحلام الجميلة !

(البقية على صفحة ٣٩)